

شرح كتاب التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح

فضيلة الشيخ الدكتور

عبد الكريم بن عبد الله الخضير

عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

(الحلقة الثالثة والعشرون بعد المائة)

المقدم: بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أيها الإخوة والأخوات، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأهلاً بكم إلى حلقة جديدة في برنامجكم شرح كتاب التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح، مع مطلع حلقتنا يسرنا أن نرحب بصاحب الفضيلة الشيخ الدكتور عبد الكريم بن عبد الله الخضير، فأهلاً ومرحباً بكم شيخ عبد الكريم. حياكم الله، وبارك فيكم وفي الإخوة المستمعين.

المقدم: قال المصنف -رحمه الله-: عن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: «كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهية السامة علينا».

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، راوي الحديث عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي، صحابي جليل تقدم التعريف به.

وهذا الحديث ترجم عليه الإمام البخاري -رحمه الله تعالى- بقوله: باب ما كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، وقبل هذا الباب ترجمة في غاية الأهمية، لكن المختصر لم يذكرها؛ لعدم اشتماله على حديث مسند من مقاصد الكتاب، يقول الإمام البخاري -رحمه الله تعالى-: باب العلم قبل القول والعمل الترجمة السابقة لقول الله تعالى: { فَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ } [محمد:19]، فبدأ بالعلم ثم أتبعه بالعمل، فبدأ بالعلم، وأن العلماء هم ورثة الأنبياء، ورثوا العلم من أخذه أخذ بحظ وافر، «ومن سلك طريقاً يطلب به علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة» وقال جل ذكره: { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ } [فاطر:28] وقال: { وَمَا يَعْزُبُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ } [العنكبوت:43] يعني بين وذكر أهم صفات أهل العلم، وهي خشية الله -جل وعلا-. ومن صفاتهم عقل الأمثال، وتقدم أن من صفاتهم قيام الليل.

ثم قال الإمام -رحمه الله تعالى-: { وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ } [الملك:10] وقال: { هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ } [الزمر:9]، وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُعَفِّهِ» K «وإنما العلم بالتعلم»، لا بد من التعلم؛ لتحصيل العلم، وليس العلم يُؤخذ بالوراثة دون تعب ولا كد ولا تحصيل، ولا يُؤخذ ولا يشتري بالدرهم والدنانير، وإنما العلم بالتعلم، وقال أبو ذر -رضي الله عنه-: «لَوْ وَضَعْتُمْ الصَّمْصَمَةَ عَلَى هَذِهِ وَأَشَارَ إِلَى قَفَاهُ، ثُمَّ ظَنَنْتُ أَنِّي أَنْفَعُ كَلِمَةً سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَبْلَ أَنْ تُجِيزُوا عَلَيَّ لِأَنْفَعْتُهَا»؛ لأنه مأخوذ على أهل العلم أن يبلغوا، وتقدم قوله -عليه الصلاة والسلام-: «وليبغ الشاهد منكم الغائب».

وقال ابن عباس: «كُونُوا رَبَّانِيِّينَ علماء فقهاء»، ويقال: الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره، هذا هو الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره، يعني الذي يسلك المنهج الموصل إلى المقصد، فالذي يبدأ بالصغار، بصغار الطلاب بالكتب الكبيرة لا يفلح لا هو ولا الطلاب، لا يفلح في تعليمهم، ولن يفلح في تعلمهم، لكن الذي يربي الطلاب بالتدريج بالصغار، صغار العلم، بالموتون الصغيرة، بالمسائل السهلة، ثم يتدرج بهم إلى ما فوقها كالجادة المعروفة عند أهل العلم هذا يفلح غالباً، وهذا هو الرباني، ويقال: الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره، انتهى كلامه -رحمه الله- في الترجمة التي قبل الترجمة التي معنا، نقلتها لأهمية ما

فيها، ومن أقوال أهل العلم في الرياني أنه الذي يتعلم ويعمل ويعلم، يتعلم ثم بعد التعلم يعمل، ليكون عمله على بصيرة، ثم بعد ذلك يزكي هذا العلم بتعليمه وإيصاله للناس.
المقدم: والترجمة السابقة لم يسق فيها حديثاً.

لم يسق فيها حديثاً مرفوعاً مسنداً، والمختصر لا يلتفت إلى مثلها.

الأخ الحاضر:.....

المقدم: يسأل عن أثر ابن عباس يقول: هو حكماء أم حلماء.

ابن عباس يقول: "كُونُوا رَبَّانِيَّيْنِ حُلَمَاءَ فَقَهَاءَ".

المقدم: في نسخ الإخوة حكماء.

الأخ الحاضر:.....

وهو أولى، لكن النسخة التي معي حلماء، لكن الحكمة أقرب.

الأخ الحاضر:.....

حلماء، على كل حال هي أكثر من رواية هي مروية بهذا وهذا، لكن كأن الأنسب حكماء والحلم مطلوب من العالم والمتعلم، فإذا لم يوجد الحلم لدى العالم لم يصبر على طلابه، وإذا لم يوجد الحلم لدى المتعلم لم يصبر على ما يبدو من شيخه أحياناً؛ لأن الشيخ بشر لا يفترض فيه أنه معصوم، إنما يغضب مثل ما يغضب الناس، فإذا لم يوجد الحلم من العالم والمتعلم إذا لم يوجد الصبر على هذه المهمة العظيمة فلن يفلح الطرفان. قال ابن حجر: ومناسبته لما قبله ظاهرة من جهة ما حكاه أخيراً من تفسير الرياني «ما كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يتخولهم بالموعظة كيلا ينفروا».

تفسير الرياني لا بد أن يكون هذا الرياني ممن يتخول بالموعظة، لديه حكمة، ولديه علم، ولديه أيضاً حلم، وحكمته تجعله يتخولهم بالموعظة، فهذا هو الرابط بين هذه الترجمة والتي قبلها بمناسبة الذي قبله من تشديد أبي ذر في أمر التبليغ لما قبله من الأمر بالتبليغ، ماذا يقول أبو ذر؟ «لَوْ وَصَعْنُ الصَّمَامَةِ عَلَى هَذِهِ وَأَشَارَ إِلَى قَعَاهُ» هذا تشديد من أبي ذر في التبليغ، وفي الباب الذي قبله الأمر بالتبليغ، وغالب أبواب هذا الكتاب لمن أمعن النظر فيها والتأمل لا يخلو عن ذلك، يعني لا يخلو من مثل هذه الروابط.

وقال العيني: وجه المناسبة بين البابين من حيث إن المذكور في الباب الأول هو العلم، والمذكور في هذا الباب هو التخول بالعلم مطابقة الحديث لقوله في الترجمة: ما كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يتخولهم بالموعظة، والعلم ظاهرة. «كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يتخولنا»، والترجمة «ما كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يتخولهم».

وقوله: "كي لا ينفروا" في الترجمة؛ لأن النفرة نتيجة حتمية للسامة؛ لأنه يتخولهم -عليه الصلاة والسلام- بالموعظة في الأيام؛ كراهة السامة، والسامة من لازمها النفرة، فالنفرة نتيجة حتمية للسامة وغاية، فمن سأم نفر، وهكذا ومطابقتها لحديث أنس الآتي، حديث أنس الذي يليه وفيه قوله: «بشروا ولا تنفروا» "كي لا ينفروا" في الترجمة، وفي حديث أنس «ولا تنفروا» وهذه مطابقة، قال ابن حجر استعمل في الترجمة معنى الحديثين الذين ساقهما، وتضمن ذلك تفسير السامة بالنفور، وهما متقاربان، وهما متقاربان، فيه تلازم بين السامة والنفور مثل ما

ذكرنا. قال الخطابي قوله: يتخولنا معناه يتعهدنا أي يراعي الأوقات في موعظته ويتحرى منها ما يكون مظنة القبول، ويفعله كل يوم؛ لئلا نسأم، كيف يفعله كل يوم؛ لئلا نسأم ومثله التخون؟
الأخ الحاضر:.....

هذا مأخوذ من الخطابي نفسه من نفس الكتاب، ولا يمنع أن يكون المراد يفعله كل يوم مدة يسيرة من ذلك اليوم على ما سيأتي في معنى التخون، ويحتمل أيضًا أنه لا يفعله كل يوم؛ لئلا نسأم، ودلالة الخبر خبر ابن مسعود على النفي عن فعل ذلك اليوم ظاهرة، لكن الذي في الخطابي يفعله كل يوم؛ لئلا نسأم، ومثله التخون، ولا يمنع أن تكون لا ساقطة في بعض النسخ، واعتمد على بعضها.
وعلى كل حال معنى التخول واضح؛ لأنه قد يكون التخول يوم في الأسبوع؛ لأنهم لا يحتملون أكثر من ذلك، وقد يكون التخول أيامًا من أيام الأسبوع، وقد يكون التخول ساعات من كل يوم، أو وقتًا من أوقات كل يوم؛ لأن كل الناس لهم ما يناسبهم، بعض الناس مستعد يعمل يومه كاملاً، ويتفرغ بقية الأيام، وبعض الناس ليس لديه من الصبر والجلد أن يمكث مدة طويلة، لكن عنده استعداد أن يستقبل هذا الأمر من كل يوم ساعة مثلاً بدلاً من أن يجمع عليه في يوم واحد، وينبغي للعالم كالطبيب أن يلاحظ ما عليه طلابه، ويلاحظ أيضًا ظروفهم وأحوالهم مثله التخون.

الأخ الحاضر: المقصود بالطلاب أو عامة الناس؟

كلهم، الناس والطلاب والذين يريدون أن يفهموا طلاب، ويأتي ما في هذا هل صنيع كثير من الأئمة من إجراء الدروس في اليوم الواحد مرات، والنووي -رحمه الله تعالى- له في كل يوم اثنا عشر درسًا، وكثير من الشيوخ إلى وقتنا هذا ممن له عدد أوقات الصلوات من الدروس بعد كل فرض من فروض الصلوات الخمس عنده درس، هل نقول: إن هذا مخالف للسنة؟

المقدم: لا هذا حسب الحال.

ومثله التخون يقول: تخولت الرجل وتخولته، والخائل القيم والوكيل المتعهد بالمال ونحوه، وفي التنقيح للزركشي: يتخولنا بقاء معجزة أي يتعهدنا، وقيل: الصواب بالحاء المهملة أي يطلبون الحال التي ينشطون فيها للموعظة فيعظهم فيها، وكان الأصمعي يروي: يتخولنا بالنون قال العسكري: والرواية باللام يتخولنا أكثر من النون، والمعنى متقارب، وقال ابن السكيت: معنى قوله: «يتخولنا بالموعظة» أي يصلحنا ويقوم علينا بها.

وفي فتح الباري: قيل إن أبا عمرو بن العلاء سمع الأعمش يحدث هذا الحديث فقال: «يتخولنا» باللام، فرده عليه بالنون؛ فلم يرجع لأجل الرواية، وكلا اللفظين جائز، يتخولنا، ويتخولنا كلاهما جائز، لكن كون الأعمش لم يرجع؛ لأنه على جادة، لأنه على رواية صحيحة ثابتة، وهي مؤيدة برواية منصور، كما سيأتي، فهي أرجح من الأخرى، لكن لو كان الأعمش أخطأ في رواية هذا الخبر فرد عليه ولم يقع له ذلك رد عليه الصواب فأصر، عند أهل العلم إذا أخطأ الراوي فرد عليه فأصر على الخطأ من غير بيان لما يعتمد عليه فإنه يجرح بذلك، وحكى أبو عبيد الهروي في الغريبين عن أبي عمرو الشيباني أنه كان يقول: الصواب "يتخولنا" بالحاء المهملة أي: يتطلب أحوالنا التي ننشط فيها للموعظة.

قلت: (القائل ابن حجر) والصواب من حيث الرواية الأولى: **«يتخولنا»** فقد رواه منصور عن أبي وائل كرواية الأعمش، وهو في الباب الآتي، وإذا ثبتت الرواية وصح المعنى بطل الاعتراض، لا مجال للاعتراض مع صحة المعنى وثبوت الرواية. و**«الموعظة»** من الوعظ، وهي كما في مفردات الراغب زجر مقترن بتخويف، وقال الخليل: هو التذكير بالخير، الموعظة التذكير بالخير فيما يرق له القلب والعظة والموعظة الاسم قال تعالى: **{يُعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [النحل:90]**، **{ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ } [سبأ:46]**، **{ذَلِكُمْ تُوَعِّظُونَ} [المجادلة:3]**، **{قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ} [يونس:57]**، **{وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ} [هود:120]**، **{وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَنْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً} [الأعراف:145]** **{فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ} [النساء:63]**.

فالموعظة من الوعظ، وهو الزجر المقترن بالتخويف، هذه موعظة، وقد تكون الموعظة بالترغيب، لا يلزم أن تكون بالترهيب، إنما تكون بما يرق له القلب من ترغيب أو ترهيب في الأيام، فكان -صلى الله عليه وسلم- يراعي الأوقات في وعظنا، فلا يفعله كل يوم، **«كراهة»** بالنصب مفعول له أي لأجل الكراهة، **«السامة»** أي الملالة من الموعظة علينا، وفي رواية الأصيلي وأبي زر عن الحموي: كراهية بزيادة المثناة التحتية، وهما لغتان، كراهة، وكراهية، والجار والمجرور يعني علينا متعلق بالسامة على تضمين السامة معني المشقة أي كراهية المشقة علينا، أو بتقدير الصفة أي كراهة السامة الطارئة علينا أو الحال كراهة السامة حال كونها طارئة علينا، أو بمحذوف أي كراهة السامة؛ شفقة علينا، قاله القسطلاني.

وفي شرح الكرمانى: السامة قيل: الملالة بناءً ومعنى، السامة مثل الملالة بناءً ومعنى، يقول: فإن قلت: يقال سئمت من الشيء مستعملاً ب(من) يعني معدى ب(من)، فأين صلته؟ قلت: محذوف تقديره من الموعظة، يعني السامة علينا من الموعظة، فإن قلت: هل يصح أن يكون المراد من السامة سامة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من القول؟ يقول: قلت: لا ويدل عليه السياق، السياق ظاهر؛ لأن السامة عليهم لا منه -عليه الصلاة والسلام-، لكن لا يبعد أن يكون من الشيوخ من ينبغي للطلاب أن يتخولوه؛ لئلا يسأم؛ لأن مثل ما ذكرنا الشيخ شأنه شأن غيره، يمل ويسأم، فإذا كان الطلاب هذا وراء الثاني، هذا يقرأ وهذا يسأل يستغرقون معه الأوقات الطويلة، لا بد أن يسأم، فلا بد من تخوله؛ امتثالاً لفعله -عليه الصلاة والسلام-، فالمسألة مطلوبة من الطرفين، الشيخ يتخول الطلاب، وينظر في وجوههم وفي أحوالهم وفي ظروفهم؛ لئلا يملوا، ويؤدي ذلك إلى الترك، وأيضاً الطلاب عليهم ألا يملوا الشيخ ويسئموه، فلا يطيلوا عليه والله المستعان.

وقال الكرمانى: فإن قلت: قوله كان لثبوت خبرها ماضياً ويتخولنا إما حال، أو استقبال فما وجه الجمع بينهما؟ **«كان يتخولنا»** كان ماضٍ خبر ماضٍ، ويتخولنا إما حال وإما استقبال؛ لأنها مضارع، يقول الكرمانى: فإن قلت: قوله كان لثبوت خبرها ماضياً ويتخولنا إما حال، أو استقبال فما وجه الجمع بينهما؟ قلت: كان قد يراد به الاستمرار، وكذا الفعل المضارع، واجتماعهما يفيد شمول الأزمنة، الماضي يؤخذ من كان، والحال والاستقبال يؤخذ من المضارع، فاجتماع كان مع المضارع يفيد شمول الأزمنة الثلاثة، بخلاف الماضي ما لو كان الماضي وحده أو المضارع وحده. يقول الأصوليون: قولهم كان حاتم يكرم الضيف هل معنى هذا أنه يكرم في الحال والمستقبل؟ لا إنما يفيد تكرار الفعل في الأزمان، يعني في أزمان وجوده في الأيام التي خلت ومضت، وفي اليوم الحالي وفي المستقبل.

قال ابن بطال: في حديث عبد الله ما كان عليه الصحابة من الاقتداء بالنبي -صلى الله عليه وسلم-، والمحافظة على استعمال سننه على حسب معاينتهم لها منه، وتجنب مخالفته لعلمهم بما في موافقته من عظيم الأجر وما في مخالفته من شديد الوعيد والزجر.

يقول ابن حجر: ويستفاد من حديث استحباب ترك المداومة في الجد في العمل الصالح؛ خشية الملل، وإنما كانت المواظبة مطلوبة، لكنها على قسمين: استحباب ترك المداومة في الجد في العمل، لا بد من الترويح عن النفس، ولذا كان النبي يتخولهم، وكان أيضًا يمزح -عليه الصلاة والسلام- خشية الملل؛ لأن قصر النفس على الجد باستمرار لا شك أنه طريق إلى الترك كما تقدم في الحديث: «اَكْلَفُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تَطِيقُونَ، فَإِنَّ اللَّهَ -عَزَّ وَجَلَّ- لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا» المواظبة لا شك أنها مطلوبة، لماذا؟ «أَحَبُّ الْعَمَلِ عِنْدَ اللَّهِ أَدْوَمُهُ» المداومة ما داوم عليه صاحبه، وكان عمره -عليه الصلاة والسلام- ديمة، المواظبة مطلوبة، وترك المداومة أيضًا خشية الملالة مطلوبة، فلا بد من التوازن، لا يداوم على عمل يؤديه فيه مداومته إلى الانقطاع، ولا يكون عمله أيضًا منقطع باستمرار بحيث يكون ممن يعمل الأعمال الكثيرة في اليوم الواحد ثم ينقطع بعدها مدة؛ لأن الانقطاع مشعر بالانصراف عن الطاعة، لكنها على قسمين إما كل يوم مع عدم التكلف، يعني ساعة من كل يوم، وإما يومًا بعد يوم فيكون يوم الترك لأجل الراحة؛ ليقبل على الثاني بنشاط، وحينئذ تضاعف المدة، وإما يوم في الجمعة، يوم في الأسبوع، ويختلف باختلاف الأحوال والأشخاص، والضابط الحاجة مع مراعاة وجود النشاط.

ويحتمل عمل ابن مسعود مع استدلاله بفعل النبي -عليه الصلاة والسلام- أن يكون اقتدى بفعل النبي -عليه الصلاة والسلام- حتى في اليوم الذي عينه، ويأتي في الموضع الذي يليه أن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- كان يذكر الناس في كل يوم خميس، هذا احتمال أنه اقتدى بالنبي -عليه الصلاة والسلام- حتى في اليوم الذي عينه، ويحتمل أن يكون اقتدى بمجرد التخول والتخلل بين العمل والترك، يعمل ويترك الذي عبر عنه بالتخول، والثاني أظهر. يقول ابن حجر: والثاني أظهر لعله استظهر الثاني؛ لعدم ذكر الوقت بالتحديد مرفوعًا للنبي -عليه الصلاة والسلام-، لم يرفع للنبي -عليه الصلاة والسلام- أنه كان يتخولهم في يوم الخميس مثلًا فيكون ابن مسعود اقتدى به في اليوم نفسه.

يقول ابن حجر: أخذ بعض العلماء من حديث الباب كراهة تشبيه غير الرواتب بالرواتب بالمواظبة عليها في وقت معين دائمًا، وجاء عن مالك ما يشبه ذلك، لا شك أن التخول مطلوب، وتشبيه غير الفرائض بالفرائض عند أهل العلم مرغوب عنه، كما أن تشبيه غير الرواتب بالرواتب والاستمرار عليها أيضًا غير مرغوب، لكن المحفوظ عن السلف والأئمة الملازمة ملازمة الأعمال مع تطويل الأوقات، فتجدهم يسهرون الليل كله، وتجدهم يعكفون على العلم تحصيلًا وتأليقًا وتدريسًا، من العلماء من كان كل وقته مشغول بالعلم، فلماذا لا يقال مثل هذا عليه أن يتخول نفسه لئلا يمل، وعليه أن يتخول طلابه لئلا يملوا؟ لا شك أنه إذا وجدت الرغبة، وتجاوز الإنسان مرحلة المجاهدة للنفس، ووصل إلى مرحلة التلذذ بالعبادة، والعلم من أعظم أبواب العبادة، لا شك أنه حينئذ لن يتطرق إليه السامة ولا الملل، لكن يبقى أن عليه أنه حتى ولو وصل هذه المرحلة ألا يشق على طلابه، وحينئذ ينصرف إلى عبادات أخرى غير التعليم، يتخولهم بالتعليم والموعظة، وينفع طلاب العلم، وينفع عامة الناس، وأيضًا ينصرف إلى أمور أخرى كالتأليف وغيره.



المقدم: أحسن الله إليكم فضيلة الشيخ، لعلنا نستكمل ما تبقى في هذا الحديث في حلقة
قادمة بإذن الله، أيها الإخوة والأخوات، بهذا نصل وإياكم إلى ختام حلقتنا من برنامجكم شرح كتاب التجريد
الصريح لأحاديث الجامع الصحيح، شكرًا لطيب متابعتكم، شكرًا لإخواننا الذين تابعوا هذه الحلقة في مجلس
العلم هذا، نلتقاكم بإذن الله في حلقة قادمة لاستكمال ما جاء في حديث ابن مسعود -رضي الله عنه-، نلتقاكم
على خير، وأنتم بخير.
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.